دراسات أدبية

# الشيب والشباب
## في شعر الشريف الرضى

بقلم : عزالدين آل ياسين
استاذ الأدب العربي بدار المعلمين العالية

٥ — لانه يروع الظباء وينفر الغواني، فيصددن مذعورات كأن ذئب غضا يريغ ودهن ، على حين ان هـذا الفتى الأشمط الذي يصدفن عنه اليوم وينفرن منه نفور الصحيح من الأجرب ، كان منهن منذ عهد قريب ، بأعز منزلة العشير الحبيب ، يدعوهن فيستجبن ملبيات مبادرات :

ولقد أكون من الغواني مرة ... بأعز منزلة الحبيب الأقرب
واذا دعوت اجبن غير شوامس ... زفف النياق الى رغاء المصعب

فاليوم يلوين الوجوه صوادفا ... صد الصحاح عن الطلى الأجرب
واذا لطفت لهن قال عواذلي ... ذئب الغضاة يريغ ودالربرب

* * *

وغير التصابي للكبير تعلة ... وغير الغواني للبياض صحاب

* * *

دوام الهوى في ضمان الشباب ... وما الحب الا زمان التصابي

وما أروع تشبيهه الغواني بالخيالات تزور في الليل — ليل الشباب وتزول عند مطلع النهار — نهار الشيب —

وكن طربى الى طروقي ... اذ ليل رأسي بلا دراري
فمذ أضاء المشيب فودي ... تورع الزور عن مزاري
مثل الخيالات زرن ليلا ... وزلن مع طالع النهار

* * *

وهو يكرر تشبيه ذئب الشيب الى البيض بذئب الذئب الى الريم ، وغرضه من ذلك الاغراق في تهويل رعب الفتيات من بياض الذقن ، حتى لكأنهن ازاء فرائس وحش ضار :

ان ذئبي الى الغواني جشيبي ... ذئب ذئب الغضا الى الآرام
كن يبكين قبله من وداعي ... فبكاهن بعده من سلامي
ويعلن أحياناً في صراحة محببة ... انه ما كان يبالي ابيضاض العارض

واشتعال الرأس لو دام معها ود الاوانس ، ولكن ماذا يصنع والشيب ووصل البيض ضدان لا يجتمعان يطلع هذا فيعور ذاك :

لو دام لي ود الاوانس لم أبل ... بطلوع شيب وابيضاض غدائر
لكن شيب الرأس ان يك طالعاً ... عندي فوصل البيض أول غائر

وقد يتخيل البيض من العذارى ضرائر البيض من العذار فاذا نزلت هذه بأرض رحلت عنها تلك :

كأنما البيض من لداتي ... ضرائر البيض من عذاري
ان خيمت هذه بارض ... تحملت تلك عن ديار

وهكذا يذل الشيب صاحبه أمام الكواعب ، فيبخلن عليه حتى برد السلام بعد أن كان يدل عليهن بغضارة الشباب وطراوة الاهاب :

القى بذل الشيب من بعدها ... من كنت القاه بدل الغلام
ترى جحيم الشيب لما ذوى ... يراجع العظم بعد الثغام
كم جدن بالاجياد لي والطلى ... فاليوم يبخلن برد السلام
وكنت أن أقبلت أسمعنني ... قعاقع الحلي وراء القرام
أيام أغدو والصبا مقودي ... أسلس للقائد طوع الزمام

* * *

لقد رأى بعارضيك ما أحب العاذل

واسترجعت منك اللحـ ظ الخـرد العقائل
وأعـدت عنك نصو ل الأغـين القواتل
فلا الدماليـج يقعـقعن ولا الخلاخـل
فان وعدن فاعلمن ان الغرام الماطل
ووعـد ذي الشيبـة بالوصـل غرور باطل

* * *

ودلالك الشباب على الغواني فبادر قبل يعزلك المشيب

* * *

مشيب كما استل صدر الحسـ م لم يرو من لبثه في القراب
نضا فاستباح حمى الملهيات وراع الغواني بظفر وناب
والوى بجـدة أيامـه فاصبح مقذى لعين الكعاب
تستر منـه مجـال السوار اذا ما بدا ومناط النقـاب
وكنت أروق ماء الوصال وبحر الشبيبة طاغى العباب

* * *

وما عليك ونفسي فيك واحدة اذا تلون في ألوانه الشعر؟

ويطيل التحسر والتفجع على الشباب وسالفات عهوده أيام كان لا يزال في بضاضة أهابه وغضارة عوده، ويشبه تلك الأيام بانفاس الشمول والشمال، لانها مسعفة بالقرب حافلات بالوصال:

وأيام الشباب مساعفات جمعن لنا وأيام الوصال
كأنفاس الشمول كرعت فيها على ظمأ وانفاس الشمال

* * *

وان الرأس بعدك صوحته بوارح شيبة فغدا جبينا
وكان سواده عيد الغواني يعدن الى مطالعه العيونا
اتاجرها فارمح في التصابي وبعض القوم يحسبني غبينا

ويستقصر مدة الشباب ويستقل عهده ويشكو سرعة انقضائه، ويشبهه بظل الطائر، لان من طبيعة الطائر الحركة الدائبة التي تمحو ظله قبل استقراره:

ماضر ذي الأيام لو ان البياض الناصل
كل حبيب ابـدا أيامـه قلائـل
ظل وكم يبقى على فـودك ظل زائل

* * *



واها على عهد الشباب وطيبه والغض من ورق الشباب الناضر
واها له ما كان غير دجنـة قلصت صبابتها كظل الطائر
سبع وعشرون اهتصرن شبيبتي والن عودي للزمان الكاسر

ويخيي هذا الضيف وان كان عابراً:

واها وهل يغني الفتى • بكاء عـين لأثر
يا حبذا ضيفك من مفارق وان غـدر

* * *

ومن يك ناسياً عهداً فاني لعهدك يا شبابي غير ناس
فان العيش بعدك غير عيش وان الناس بعدك غير ناس

ويأسف على سواد محبوب يمر بالرأس مر الغمام، قصير اللبث قليل المقام، فاذا علقت شرارة بشعرة منـه اشتعل سائره شيبا:

اليك فقد قلصت شرتي بعيد البياض قلوص الطلول
وبدلت مما يروق الحسا من من منظر ما يروع العوالي
سواد يعجـل زور البيا ض علوق الضرام برأس الذبال
ومر على الرأس مر الغمام قليل المقام سريـع الزيال
فليس الصبا اليوم من اربي ولا ذاك البال يا عز بالي

ويتخيل الشباب طريدة للشيب الجاد في أثره، فيود لو كان ذلك الطارد العجل فداء طريدته:

ولى الشباب وهذا الشيب يطرده
يفدي الطريدة ذاك الطارد العجل

وما سبب هذا الشيب؟

ولا نريد سببه العلمي المقرر في وظائف الاعضاء، فذلك سبب لا يهم الاديب ولا يمتعه، بل سببه الذي يمليه الخيال وهو ادنى الى الجدة والجمال، وللشريف في اختراع علل الشيب افتنان الشاعر الذواق وسنجنيك في العدد القادم بعض طرائفه في هذا الباب فالى الملتقى

الحامي
السيد مهدي الخرسان
مكتبه في مدخل سوق الكبير